الفصل الخامس

دراسة تحليلية لفن المجازية في ديواني الرياض والسباعيات لعيسى ألبي

مقدمة الفصل

لقد تناول الباحث في الفصل السّابق مواطن التشبيه حيث ناقش فيه الفنون التشبيهية في شعر عيسى ألبي، ويهدف الباحث من دراسة هذا الفصل إلى التحليل الفن المجازية في شعر عيسى ألبي، وطبق الباحث كل هذه الفنون في ديواني الرياض والسباعيات.

فمن الملاحظ أن الباحث وجد أكثر الفنون المجازية ورودا في ديواني الرياض والسباعيات، وذلك بتقسيم هذا الفصل إلى مبحثين، المبحث الأول مفهوم الحقيقة والمجاز، والمبحث الثاني أقسام المجاز وكيفية استعماله في ديواني الرياض والسباعيات.

المبحث الأول: مفهوم الحقيقة والمجاز

وقبل التحدث عن المدلول والمفهوم البلاغي البياني للفظي (الحقيقة والمجاز) يجدر التعريف بهما معجميا لغويًّا.

أما الحقيقة: فمن مادة هذين الحرفين-الحاء، والقاف-(حق) وهو ذلك الشيء الثابت، ومنه

قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ﴾[٣٨٥]. وقال الحق في آية أخرى: ﴿ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ ﴾[٣٨٦] أي: ثبت.

فالحقيقة إذن: هي الشيء الثابت إذا جعلناها اسم فاعل، أو الشيء المثبت إذا اعتبرناها اسم مفعول، وكلاهما صحيح؛ لأن صيغة فعيل تصلح لكليهما، والتاء فيها لم تكن تأنيثًا وإنما هي للنقل من الوصفية إلى الاسمية كالتاء في "نطيحة".

وليزداد الكلام وضوحًا أنك مثلا إذا قلت:

نظيفة وجميلة فأنت تقصد بذلك وصفا للمؤنث، نحو: غرفة نظيفة، وفتاة جميلة، أما إذا قلت: حقيقة فالأمر خلاف ذلك تماما، فهي لا تعني وصفًا للمؤنث تقول: "هذا اللفظ حقيقة" ولو كانت التاء فيها للتأنيث لقلت: "هذا اللفظ حقيق" بدلًا من "حقيقة". ومثلها: ذبيحة ونطيحة وما إلى ذلك فإنهما تطلقان على المذكر والمؤنث معًا[٣٨٧]. هذا قول الجمهور في "تاء الحقيقة" بخلاف صاحب المفتاح الذي قال: "هي عندي للتأنيث في الوجهين؛ لتقدير لفظ "الحقيقة" قبل الشمسية صفة مؤنث غير محراة على الموصوف وهو الكلمة، وفيه نظر"[٣٨٨].

أما المجاز: أصله جوز، وجاز المكان: تركه خلفه وقطعه. ومنه قول امرئ القيس:

فَلَمَّا أَجَزْنَا سَاحَةَ الْحَيِّ وَانْتَحَى ** بِنَا بَطْنُ خَبْتٍ ذِي حِقَافٍ عَقَنْقَلُ[٣٨٩].

---

[٣٨٥] القرآن. غافر٤٠: ٦.

[٣٨٦] القرآن. يس٣٦: ٧.

[٣٨٧] فضل. حسن عباس. ٢٠٠٩م. *البلاغة: فنونها وأفنانها* المرجع السابق .ص٢١.

[٣٨٨] [٣٨٨] السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر. د.ت. *مفتاح العلوم*. تحقيق: حمدي محمدي قابيل، المكتبة التوقيفية. ص٣١٤.

[٣٨٩] امرئ القيس، بن حجر بن الحارث الكندي. ٢٠٠٩م. *ديوان امرئ القيس*. المرجع السابق. ص٢٢٨.

وجوز الليل: وسطه، وشاة جوزاء: بيضاء الوسط[٣٩٠]. والمجاز: المعبر، والمجاز من الكلام ما تجاوز ما وضع له من المعنى[٣٩١]. والمجاز: مصدر ميمي من جاز الشيء جوازًا إذا تعدّاه، ويمكن أن يكون بمعنى اسم المكان من قولهم: "جاز الطريق مجازًا" أي: سلكه. ويقال: جاز القول: إذا قُبِل ونفَذَ. وكذا يقال: جاز العقد وغيره، إذا أنفذ ومضى على الصحة[٣٩٢].

الحقيقة في اللغة إذنْ: الشيء الثابت، والمجاز معجميًّا: تعدي الشيء، ولعلك تشم رائحة التضاد بين هاتين المفردتين؛ لأن الذي يجوز المكان يتعدّاه ولا يثبت فيه. كما يلمس أيضا من قول القزويني أنه من قولهم: "جعلت كذا مجازًا إلى حاجتي" أي: طريقا لها، على أن معنى جاز المكان: سلكه، على ما فسره الجوهري[٣٩٣].

مفهومهما الاصطلاحي:

الحقيقة: هي ما وضع له في اصطلاح التخاطب على معناه الأصيل بدون ضرب من التأول، أو التجوز، ولا جدال في أن الحقيقة تحظى بالبلاغة حظوة ما يناله المجاز إلا ما صدر من سوء الحكم عليها، وذلك نظرة تستخف بالغاية القصوى في اعتبار المناسبة، والحال، والمقام، ومن هذا المنطلق فقد استبدّ الوهم ببعض الدارسين، وذهبوا إلى إخلاء الحقيقة عن مناط البلاغة في مقابلة المجاز، والكناية، على حين كانت الحياة تقرر أن الأوضاع لا تخلو من الواقع، وعليه فإنه ينبغي أن يكون بناء الأسلوب المعبر عنها،

---

[٣٩٠] أيمن، أمين عبد الغني. ٢٠١١م. *الكافي في البلاغة*. دار التوقيفية للتراث. ص١٢١.

[٣٩١] المعجم الوسيط. المرجع السابق. مادة: جوز، ص١٠٣.

[٣٩٢] القزويني، الخطيب. ١٤٢٨هـ. *الإيضاح في علوم اللغة*. تحقيق: الدكتور عبد الحميد الهنداوي. ط٣. القاهرة: مؤسسة المختار. ج٢. ص٢٣٢.

[٣٩٣] فضل، حسن عباس. المرجع السابق. ص١٥٦-١٥٧.

أو القول المبين على صورة متميزة، وما دام الأمر كذلك فإن الأدب ووصفه جدير بأن يظلا على الاحتفاء بالحقيقة التي ناسبت مكانها[٣٩٤].

والمجاز: هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة تمنع إيراد المعنى الحقيقي[٣٩٥]، إذنْ تجد كلمات استعملت في معنيين مختلفين: فتارة استعملت في معناها الذي وضعت له، وكرة أخرى استعملت في معان أخرى، هناك-إذن-كلمة واحدة ومعنيان.

المعنى الأول: الذي وضعت له الكلمة أسّاسًا.

المعنى الثاني: الذي استعملت فيه، ولكن ترى كيف تتم عملية النقل، أيمكننا أن ننقل كل كلمة من المعنى الذي وضعه له لنستعملها في أي معنى آخر، أظنك تأبى ذلك بفكرتك وفطرتك لأن هذا ستكون نتيجته الخلل، والاضطراب، وسنعم الفوضي، فتنقل كلمة الكذب لمعنى الصدق، وكلمة الخير معنى الشر، ولفظ المدح طعن الذم، وسيعود الناس إلى مجتمع السفسطائية الذين لم تكن الكلمة فيه عندهم تعني مدلولا معينا، ومن هنا كان لا بدّ من صلة وقرب بين المعنيين (المنقول منه والمنقول إليه).

ومن أجل محاولة التوضيح أكثر بكل وسائل، ينبغي أن يستقر في ذهن الدارس أن المجاز-تبعًا لهذا التعريف-لابدّ فيه من خمسة أمور:

١- الكلمة

٣/٢ معنيان: المعنى الأصلي الذي وضعت له الكلمة، والمعنى المجازي الذي استعملت فيه الكلمة ثانيا.

---

[٣٩٤] أغاكا، عبد الباقي شعيب. ٢٠٠٠م. *أساليب بلاغية في ديوان الأستاذ عبد الله بن فودي*. ط٢. مركز المضيف لخدمات الكمبيوتر والطباعة والنشر. إلورن-ولاية كوارا، نيجيريا. ص٢٣٨.

[٣٩٥] القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن. ٢٠١١م. *الإيضاح في علوم البلاغة*. المكتبة العصرية. ص ٢٦٣.

٤- العلاقة: وهي الصلة بين المعنيين ولولاها ما استطعنا أن ننقل الكلمة من معناها الأول الذي وضعت له إلى معناها الثاني الذي استعملت فيه.

٥- القرينة: التي تبين لنا أن المعنى الحقيقي غير مراد وأن المعنى المجازي هو المقصود[٣٩٦].

والمجاز من أحسن الوسائل البيانية التي تهدي إليها الطبيعة، لإيضاح المعنى، إذ به يخرج المعنى متصفا بصفة حسيّةٍ، تكاد تعرضه على عيان المتلقي، لهذا شغفت العرب باستعماله لميلها إلى الاتساع في الكلام، وإلى الدلالة على كثرة معاني الألفاظ، ولما فيها من الدقة في التعبير، فيحصل للنفس به سرور وأريحية، وأتوا فيه بكل معنى رائق، وزينوا به خطبهم وأشعارهم.

المبحث الثاني: أقسام المجاز

في هذا القسم يقوم الباحث بدراسة أقسام المجاز حيث قسمه البيانيون إلى موضعين هما:

أ- المجاز العقلي ويكون هذا الجدول في الإسناد، أي: إسناد الفعل، أو ما في معناه إلى غير ما هو له[٣٩٧].

ب- المجاز اللغوي هذا في المفرد كما يكون في التركيب المستعمل في غير ما وضع له. وهو نوعان: النوع الأول: الاستعارة، وسيأتي تعريفها وبيانها في موضعها (الفصل التالي لهذا الفصل) إن شاء الله. النوع الثاني والأخير: المجاز المرسل: وهو مجاز تكون العلاقة فيه بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي قائمة على غير المشابهة.

---

[٣٩٦] بكري، شيخ أمين. *البلاغة العربية في ثوبها الجديد*. ج٢. دار العلم للملايين. ص١٩.

[٣٩٧] فضل، حسن عباس. المرجع السابق. ص١٦٦.

المطلب الأول: فنّ من المجاز العقلي

اعتاد بعض علماء البلاغة أن يذكروا المجاز العقلي في إطار الحديث عن موضوعات علم المعاني، كما صنع الشيخ عبد القاهر في (دلائل الإعجاز) والقزويني في (التلخيص)؛ نظرًا إلى أنه قسم من الإسناد، والإسناد وما يتصل به من مباحث علم المعاني، وكان كثير من البلاغيين يدرجونه تحت علم البيان؛ ذلك لأن المجاز من مباحث علم البيان، وعلى هذا الدرب سار الباحث في هذا العمل، وبالله توفيق الخير.

أجل، قبل الغوص في تحليل النصوص البلاغية الواردة في الديوانين المدروسين عن "المجاز" لا من كشف اللثام عن أمر مهمّ ألا وهو اعتبار بعض الدارسين وقولهم إن المجاز: كلمة نقلت عن إعرابها الأصلي إلى غيره كحذف لفظ "أهل" في قوله تعالى: ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ [٣٩٨]أي: أهلها فإعراب القرية في الأصل هو الجر، فحذف المضاف وأوتي المضاف إليه إعرابه، ونحو قوله عزّ من قائل: ﴿ وَجَاء رَبُّكَ﴾[٣٩٩] أي: أمره، وكذلك قولهم: "فلان تطؤهم الطريقة" أي: أهلها[٤٠٠].

والراجح المقبول هو: أن المجاز فن بياني مستقل عن الحذف الإعرابي يدل معناه على الشمول، قال الإمام عبد القاهر الجرجاني: "وإنه ليس بالوجه أن يعدّ هذا على الإطلاق ما حذف منه المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه مثل قوله تعالى: ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ [٤٠١] وإن كنا نراهم يذكرونه حيث يذكرون حذف المضاف، ويقولون في تقدير "فإنما هي ذات إقبال وإدبار" في قول الخنساء:

---

[٣٩٨] القرآن. يوسف ١٢: ٨٢

[٣٩٩] القرآن. الفجر٨٩: ٢٢.

[٤٠٠] التفتازاني، سعد الدين. د.ت. *شرح المختصر على التلخيص*. مطبعة عيسى الحلبي وشركاؤه بمصر. ص٢٣٣.

[٤٠١] القرآن. يوسف ١٢: ٨٢

تَرْتَعْ مَا ارْتَعَتْ حَتَى إِذَا ادَّكَرَتْ ** فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارُ[٤٠٢]

وإنما تجوزت أن جعلتها لكثرة ما تقبل، وتدبر، ولغلبة ذلك عليها، واتصالها بهما، وإنه لم يكن لها حال غيرهما، كأنها قد تجسدت من الإقبال والإدبار.

وعلق على الرأيين أو القولين جبل البلاغة بهذه العبارة: "ومن الملحوظ أن الرأي الأول تضييق على الأبواب البيانية، وعود على بدإ لباب الذكر والحذف، ولئن قيل إن هذا الإيجاز، والإيجاز بلاغة، أجيب بأن الفنون البيانية كلها إيجاز، ولهذا يستقيم اختيار الرأي الأخير إذ هو أنسب للروح البلاغية"[٤٠٣].

يتجلّى واضحًا أن المجاز العقلي لا يكون هو في الكلمة نفسها، فالكمة لم تخرج فيه عن وضعها اللغوي بعد، وإنما يكون في الإسناد، فهو "إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له"، والمقصود بهذه العبارة: "أو ما في معناه" أي: ما في معنى الفعل كاسم الفاعل، واسم المفعول، وما يشبههما، ألا ترى أن هذه أيضا تعمل عمل الفعل.

وتمس الحاجة إلى الوقفة البارعة على العبارة: "لغير ما وضع له" لمزيد التوضيح ومحاولة التبيين لهذه الجملة، يعرض بعض الأمثلة الباحث قائلًا: إذا قلت: "سال الماء في الوادي"، "فاض الماء في الكأس"، "فاطمة صائمة هذا اليوم"، "محمد قائم ليلته"، "نبت البقل في فصل الربيع"، "نحمي أرضنا بالإيمان والشجاعة".

إذا وقفت أمام هذه الجمل واحدة بعد أخرى، تدرك أن الإسناد في كل منها إسناد حقيقي، فهو إسناد الفعل أو ما يشبهه لما هو له، ولكن سعة اللغة وفن التعبير يكسبان الكلام زهوًا وبهاء حيث

---

[٤٠٢] التفتازاني، سعد الدين. د.ت. *شرح المختصر على التلخيص*. مطبعة عيسى الحلبي وشركاؤه بمصر. ص٢٣٣.

[٤٠٣] أغاكا، عبد الباقي شعيب. *أساليب بلاغية في ديوان الأستاذ عبد الله بن فودي*. المرجع السابق. ص٢٤٦.

يمكن تغيير العبارات السالفة الذكر وتقول: "فاض الكأس"، "سال الوادي"، "نهارها صائم"، "أنبت الربيع البقل"، "يحمي بلادنا ضرب السيوف"، "شيّبتني هود وأخواتها"... في هذه العبارات المسرودة تجد أنه أسند فيها الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له؛ فإن الكأس والوادي لم يسيلا حقيقة، وإنما سال الماء الذي فيهما، ومن هنا كان المجاز والعلاقة التي أدّت إلى مثل هذا النوع هو ما بين الماء وكل من الوادي والكأس من صلة وقرب، إذ هما مكان هذا الماء، وهكذا... كما أن الصلة بين الصيام واليوم، والقيام والليل كل منهما زمان للآخر.

وفي تلك الأمثلة ترى أن أفعالًا أو ما يشبهها لم تسند إلى فاعلها الحقيقي بل أسندت إلى سبب الفعل طورًا، أو زمانه حينًا، أو مكانه كرّة، أو مصدره تارة، وأن صفات من حقها أن تسند إلى المفعول أسندت إلى الفاعل، وأخرى كان يجب أن تسند إلى الفاعل وأسندت إلى المفعول، كذلك رأيت أن هذا النوع من الإسناد غير حقيقي؛ لأن الإسناد الحقيقي هو إسناد الفعل إلى فاعله الحقيقي، فالإسناد إذن هنا إسناد مجازي ويسمى بالمجاز العقلي، لأن المجاز ليس في اللفظ كما في الاستعارة والمجاز المرسل، بل في الإسناد، وهذا يدرك بالعقل.

على ضوء هذا الشرح يمكن استنباط القواعد التالية:

١- المجاز العقلي: هو إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة الإسناد الحقيقي.

٢- الإسناد المجازي: يكون إلى سبب الفعل، أو زمانه، أو مكانه، أو مصدره، أو بإسناد المبني للفاعل إلى المفعول أو المبني للمفعول إلى الفاعل.

من القواعد السابقة يتضح أن علاقات المجاز العقلي هي: السببية، أو الزمانية، أو المكناية، أو المصدرية، أو المفعولية أو الفاعلية.[٤٠٤]

إن ديواني شاعرنا ألبي كليهما يملآن بهذا الضرب البياني في أروع صورة، وأفصح عبارة، يقتصر الباحث على خمسة نماذج للدراسة والتحليل البلاغي في "الرياض"، في حين يكتفي بأربعة أمثلة في "السباعيات" يقول الشاعر في قصيدة عنوانها: "ذكرى الهجرة النبوية" ١٩٧٩م:

يَا هِجْرَةً كَانَتْ دَلِيلَ تَقَدُّمِ الْـــــ ** إسلام فِي الْأَقْطَارِ وَالْأَمْصَارِ

وَسِعَتْ آفَاق الْعُقُـــــولِ مَعَارِفًا ** حَتَى استفَادُوا عَادَةَ الْأَقْطَارِ

يَا هِجْرَةَ الْإِسلام فِيْك بِلَا مِرا ** دَرْسُ الْوِدادِ وَحِكْمَةُ الْإِيثَارِ

رَكَزْتِ أسًّا لِلتَآخِي بَيْنَهُمْ ** فَتَمَتَعُوا بِحَلَاوَةِ استقْـــــرَارِ

وَنَزَعْتِ تَـاجَ الْمُلْكِ بَعْدَ تَمَـــامِهِ ** مِنْهُمْ فَصَارَ الْعِزُّ لِلْمُخْتَارِ

يَـــــــا هِجْرَةَ الْإِسلام إِنَّكَ آيةٌ ** كُبْرَى وَذِكْرُكِ فَرْحَةُ الْأَدْهَارِ

يَا يَوْمَ هِجْرَة يَوْمُ مَنْ يَهْدِي الْوَرَى ** بِهِدَايَةِ الْقُرْآنِ ذِي الْأَسْرَارِ[٤٠٥].

يبدو من هذه الأبيات المقتطفة من قصيدة تربو أبياتها على خميسن بيتًا ألقاها الشاعر بمركز التعليم العربي الإسلامي أغيغي–لغوس بمناسبة ذكر القرن الرابع عشر للهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأنمى السلام، وجه فيها خطابه إلى الهجرة نفسها، وأسندت إليها أفاعيل لم تكن من صنيعتها، جعلها الرمز البارز، والدليل الباهر على تطور الإسلام، وسعة دائرته، وكثرة عدد معتنقيه.

[٤٠٤] عبد العزيز، عتيق. ٢٠٠٦م. *علم البيان*. المرجع السابق. ص١٠١.

[٤٠٥] ألبي، عيسى أبو بكر. *الرياض*. المرجع السابق. ص٤١–٤٢.

أجل، إذا وقف القارئ العزيز على تلكم الأبيات المعروضة واحدًا بعد واحد يجد أن الإسناد في كل منها غير حقيقي لكنه تسوغه سعة اللغة وفن التعبير، انظر إليه كيف أسند توسيع آفاق العقول إلى الهجرة، وهي التي أدّت بالعرب أن يقتبسوا من غيرهم من الأمم أصحاب الثقافات القديمة كما في البيت الثاني، وهل من استطاعة الهجرة أن تفعل هذا حقيقة؟ الجواب: لا، وما العلاقة بين الهجرة وتوسيع آفاق العقول؟ وهي تتمثل في أن الهجرة سبب في هذا التوسيع، إذ لولا هجرته–صلوات الله وتسليماته عليه– إلى المدينة لما يزل الإسلام والمسلمون في دائرة ضيقة جدًّا، ولا يتجاوز أفق مكة المكرمة، إذنْ إسناد التوسيع إلى الهجرة إسناد مجازي والعقل هو الذي يحكم بذلك، والعلاقة السببية.

ونفس الأمر في قوله: "ركزت أسًّا للتآخي بينهم" فإسناد تركيز الأخوة أو التآخي بين المسلمين المهاجرين منهم والأنصار إلى الهجرة مجاز عقلي علاقته السببية، فإن الرسول هو الذي قام بذلك التآخي وسببت الهجرة ذلك.

وكذلك الأمر بالنسبة للبيت التالي له حيث أسند نزع تاج الملك من أهل يثرب إلى الهجرة إسنادًا غير حقيقي، والعلاقة في هذا أيضا لا تزال سببية، وفي البيت بعده أسند الشاعر الفرحة إلى الأدهار، مع أنها غير عاقلة لا تعرف الفرحة وإنما يفرح من فيها على طريق المجاز العقلي ذي العلاقة الزمانية.

ويقول في موضع آخر[٤٠٦]:

شَيْخُ يَـزِينُ شُعْبَهُ وَبِلَادِهِ ** بِعُلُومِهِ وَصَـلَاحِهِ لَا يَسْبِقُ

إِنَّ الْبِـلَادَ تَنَوَّرَتْ بِضَيَائِهِ ** قَوْلًا وَفِعْلًا لَا يُجَارِي أَشْدَقُ

[٤٠٦] قصيدة أرسلها الشاعر من الرياض (المملكة العربية السعودية). ١٩٩١م.
بمناسبة عيد الأربعين من تأسيس المركز الأم.

هُوَ مَنْ يجْلِي النَّفْسَ مِنْ أَدْرَانِهَا ** إِنَّ الحَقَائِقَ عِنْدَهُ لَا تَسْتَحِقُ

يَا مَرْكَزًا مَلَأَ الْأَمَاكِنَ خَيْرُهُ ** مِثْلَ الْعَبِيرِ بِلَا حُدُود يَعْبَقُ

حَقَّقْتَ آمَالَ الْعِبَادِ فَأَصْبَحَت ** أَفْوَاهُهُمْ الْشُّكر دَوْمَا تَنْطِقُ

حَرَزْتَ أَفْكَارًا مِنَ الْأَوْهَامِ فِي ** عَهْدِ تَعْسَّرَ أَنْ يُرَى مَنْ يُعْتَقُ

مَرَّ السِّنونَ عَلَيْكَ غَيْر مُغَيَّرِ ** فَعَلامَ يَحْسُدُكَ الزَّمَانُ المرْهِقُ[٤٠٧].

ويلاحظ الباحث كيف تنهض هذه الأبيات أنماطا راقية من تلك الوجوه البيانية المجازية، تتلخص في نقطة مهمة ظلت تعمل في ذاكرة البيان، وتتردد في أصداء الأدباء والمتأدبين، وهي صورة مجازية تدق بلاغتها، ويعظم رونقها، كونها الملكة من واقع الطبائع تعبيرًا جليلًا عن المعاني التي تحيزت في صدر شاعرها الأديب، على ضوء أسلوبه الراقي من دقة التفسير، وعمق الثقافة.

بالغ في ثناء ممدوحه وشيخه الإلوري، الذي صنع التاريخ، وأجريت على يديه الأعاجيب، وهو الشخص الذي نال من وبله الداني والقاصي، واستفاد منه الحاضر والبادي، ولقد نال من ذلك واستجاب أية استجابة شيخه وسميه آدم نمعجي بقوله: "أدام الله حياة آدم لنفع عباده وتنوير بلاده"[٤٠٨]. وكان الإلوري لا يصدر منه قول ولا فعل إلا ويكون نورًا يهتدي به الناس في ظلمات الحياة الحالكة، ويبصرون به طريقهم إلى الرقي البشري، والنضوج الفكري، والقيم الخلقية، فقد طهر أفئدتهم وقلوبهم، وكان عادة ينفّذ وصية الحق في كتابه المجيد مهما كان الثمن غاليًا، ثم عاد الشاعر بالمتلقي من توجيه الحديث إلى الشيخ نفسه، يخاطب مؤسسه العريق ذلك الصرح العلمي والقلعة المعرفية التي أنتجت عباقرة الفن، وأساطين البيان، ولا تزال-إلى قيام الساعة-تهب الدنيا قادة أمرها، وصناع قرارها، وحملة لواء

[٤٠٧] ألبي، عيسى أبو بكر. المرجع السابق. ص٦٣-٦٤.

[٤٠٨] نمعجي، آدم. من تقريظه شرح تصريف الميداني. ٨٨.

العربية، هذا المركز هو الآخر عم خيره البلاد طولا وعرضا، وهو الذي بعث الأمل في قلوب اليائسين، فامتلأت أفواههم شكرًا، وأعطى الأفكار حرية كاملة أطلقها من الربقة التي رانت عليها منذ أمد بعيد، وأعجب الشيء أن المركز قام بهذه الأعمال الجليلة، وتلك المساعي النبيلة في وقت قلّ أن يسمح الزمان بمثله، وقد استولى المستعمرون على عرش البلاد، ثم إنه ظن أعادي الدين وخصماء لسانه المبين، أنه لا يطول به المكث حتى ينهار على سقفه، فكان الأمر خلاف ما يتوهّمون، وبئس ما كانوا يزعمون، كانوا يتربصون به ريب المنون، ويتمنون زواله وإطفاء نوره، حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة.

قوله: "إن البلاد تنورت بضيائه" فالمقصود بالبلاد الشعب المواطنون على سبيل المجاز العقلي ذي العلاقة المكانية، وأما قوله: "هو من يجلّي النفس من أدرانها" فإسناد مجازي أيضا حيث أسند تجلية النفوس من درنها إلى ممدوحه، بل هو فقط يعمل على هذا الهدف ويسعى لتحقيق تلك الغاية فكانت تجلية القلوب والنفوس نتيجة عمله المتواصل وسعيه المستمر إذن هو السبب في ذلك وجاز هذا الاستعمال مجازًا عقليًّا ذا العلاقة السببية، ونحو ذلك قوله: "حققت آمال العباد" موجها إلى المركز خطابه فيه إسناد مجازي علاقته السببية والمكنايةَ معًا. نفس الشيء في قوله: "حررت أفكارًا من الأوهام" فإسناد تحرير الأفكار إلى المركز مجازي علاقته السببية كما سلف، وأما قوله في البيت الأخير: "فعلام يحسدك الزمان المرهف" لقد أسند فعل يحسد إلى الزمان وهو لا يعقل ولا يحسد حقيقة، ولم يكن صدر الحسد منه فعلا، ولكن جريا وراء المجاز العقلي ذي العلاقة الزمانية جاز له قول ذلك، إن الذي يحسد المركز ليس الزمان وإنما الموجودون في زمانه، توحي هذه العبارة وتفيد المبالغة والشمول كأنه يقول إن العدو الحاسد لم يترك دقيقة أو لحظة أو ساعة من ساعات الدنيا إلا ويملأ قلبه حسدًا ونقدًا من إنجازات المركز.

وعلى شاكلة ما مرّ من النماذج تأتي هذه الأبيات تضفي ظلالا وارفة يتمتع فيها الشاعر بدقة تلمس الوجوه في ترتيب أجزاء الكلام، وتعليق عناصر الجمل على اختلاف مواطنها حتى تتخذ شكلًا

موحدًا، ويشعرك بما له من براعة الإبداع، تشهد بأنه كان قد أفرغ موضوعه إفراغًا جيّدًا، وسبكه سبكًا واحدًا على سنة الأدباء الذين يراعون النسق العام لينتهي النص إلى وحدة فنية أو عضوية، وذلك يأتي برهانا ساطعا على أنه مرّة أخرى ذو بصيرة ثاقبة، وملكة فياضة لبناء الكلام وأدائه، وسيزداد ذلك وضوحًا عندما يقول:

خُذْ عُوْدَكَ الْعَذَبَ يَا قَوَّالَ أَشْعَارِ ** وَنَشِّطِ الْقَلْبَ فِي أَفْوَاجِ أَخْيَارِ

بِشَـــــائِرُ الْخَيْرِ فِيهَا وَهِيَ دَائِبَةٌ ** تَــجُوبُ آفَاقُهَا دَوْمًـا بِأَنْوَارِ

إِنَّ الْإِمَـــــارَةَ فِي أَيَّامِنَا سَعِدَتْ ** وَحِفْظُهَا ذِمَةٌ فِي كَفِّ قَهَـارِ

يَا ابْنَ الْأَمِيرِ الَّذِي فِي عَهْدِهِ صَنَعَتْ** هَذيْ الْمَدِينَةُ مَا يُرَبِي بِإِكْثَارِ

بِـــلَادَنَا إِن قَوْمِي وَقْتَ نِعْمَتِهَا ** تَبْقَى عَلَى الرَّحْبِ فِي عِزٍّ وَإِيسَارِ

اَجْلِبْ إِلَيْهَـــا مِنَ الْخَيْرَاتِ أَوْفَرَهَا ** يُذَاعُ ذِكْرَكَ فِي أَفْوَاهِ أَعْمَارِ[٤٠٩].

في ظن الباحث في هذه الأبيات يصفق إعجابًا بتلاؤم التعبير، إقرارًا بشاعرية هذا الأديب الذي لمع نجمه في أفق الفن والإبداع، ألا ترى كيف صاغ هذه القصيدة التي هنأ بها سموّ الأمير إبراهيم بن ذي القرنين غمنبري إبان تنصيبه أميرًا جديدًا لمدينة إلورن ١٩٩٥م، وطارت بشائره ولم تلبث أن طبقت جميع الأنحاء المعمورة، يعدّ الشاعر هذه التولية سعادة أبدية للإمارة وضواحيها، إذ هي آية تقدمها وازدهارها، ذاكرًا أن والد الأمير الجديد المتمثل في شخصية المرحوم المغفور له سموّ الحاج ذو القرنين غمنبري الأمير الأسبق، وقد شهدت الإمارة في عهده تطورات ملموسة، وحققت إنجازات مشهودة، والمؤكد أن تتوقع المدينة خيرًا منها في عهد ابنه هذا، كما دلت الشواهد القوية التي تطمئن إليها القلوب على أن الإمارة

[٤٠٩]ألبي، عيسى أبو بكر. *السباعيات*. المرجع السابق. ص٨٩.

سوف ينعم أهلها، ويزول هولها، ويزداد فضلها، وقفّى على آثار ذلك بنصيحة ثمينة لسمو الأمير أن يصدق شهادتهم فيه، ولا يخيب رجاءهم، بجلب الخير والمنافع بشتى الوسائل الممكنة، ومختلف العناصر إخلادًا لذكراه، وذكريات الآباء والأجداد.

ومن الأنماط المجازية المودعة في الأبيات المسوقة إلى سمع القارئ إسناده فعل "سعدت" إلى "الإمارة" وليست الإمارة هي التي سعدت في الحقيقة بل الذين فيها سرًّا وراء المجاز العقلي ذي العلاقة المكانيه، ومثل ذلك قوله: "صنعت هذي المدينة ما يرجى" إسناد غير حقيقي، إذ ليس من مقدرة المدينة أن تصنع ما يرجو المواطنون، بل الشعب وأبناء الوطن هم الذين يصنعون فالعلاقة هنا أيضا المكانيه، ونفس الشيء في قوله: "بلادنا آن قومي وقت نعمتها" فالبلاد بالذات لا تشعر هي بالنعمة ولا بالنقمة، وإنما ينعم ساكنوها ومواطنوها، وذلك إسناد مجازي علاقته المكانيه.

وأما قوله في البيت الأخير: "يذاع ذكرك في أفواه أعمار" فهل للأعمار أفواه؟ لا، وإنما ساق ذلك مساق المجاز العقلي قصدًا به أفواه الناس الذين يعمرون الإمارة، وهذا الإسناد غير حقيقي بل مجازي ذو العلاقة الزمانية.

ودونك صورًا مجازية أخرى من الديوان، يقول الشاعر:

طَابَ مَسْعَاكَ أَحْمَدَ الْبَيْغَوْرَي ** فَلِهَذَا تُحَـــاطُ بِـالْإِسْعَادِ

فَهَنِيئًا لَكُمْ لِميْـــلَادِ مَنْ كَا ** نَ حَدِيثَ الْخَيْرِ فِي كُلِّ نَادِ

حَظُّهُ فِـي الْحَيَاةِ حَظٌّ سَعِيدٌ ** وَافِرُ الْـخَيْرِ فِي سَبِيلِ السِّدَادِ

أَمَـــلُ الْيَومِ عِدَّةُ الْغَدِ يَحْيَا ** لِبِنَـاءِ الْعُـلَا وَسَعْدِ الْبِـلَادِ

آلُ بَيْغَوْرَ لاَ تحيدوا عَنْ الْخَيْـ ** ـرِ فَأَنْتُمْ سُـلَالَةُ الْأَمْجَـــادِ.[٤١٠]

[٤١٠] ألبي، عيسى أبو بكر. *السباعيات*. المرجع السابق. ص٩٢-٩١.

بدون تطويل ممل يدرك المتلقي لهذا النص الأدبي ما يحويه من نكتات بلاغية، وضروب مجازية، تخضع لخصائص أدبية وسمات فنية آسرة الألباب، فها هو ذا الشاعر في البيت الأول يسند فعل "طاب" إلى "مسعى ممدوحه" وليس من حقه أن يسنده إليه لولا مسوغات مجازية تجيز ذلك وتخلع عليه رداء الجمال والرونقة، دفعه الإحساس العميق، بتفخيم المعنى إلى تشكيل عديدٍ من هذه الفنون المجازية وتتخذ إحدى علاقتها المصدرية وإطار المغزى، فتهبها قوة التفاعل على نحو ما تظللها قوي القرائن، وتستدعيها الحال اعتبارًا مناسبًا، وهو تصوير رائع يلقي رؤية واضحة على مكانة ممدوحه (أحمد بيغوري)، فلفظه "مسعاك" مجاز، علاقته المصدرية للدلالة على العموم، والشمول، والإحاطة حتى لا يبقى للمدوح حركة ولا سكون من ساعيه إلا وطاب سواء أعطى أم منع.

وتارة يفضل الشاعر العلاقة الفاعلية للتعميم كما هو الشأن في قوله:

حَظُّهُ فِـي الْحَيَاةِ حظٌّ سَعِيدٌ ** وَافِرُ ٱلـخَيْرِ فِي سَبِيلِ السِّدَادِ[٤١١]

والمراد بقوله: "حظ سعيد" أي: مسعود، وقوله: "وافر الخير" فالمقصود به موفور الخير جريًا وراء المجاز العقلي ذي العلاقة الفاعلية، وأما قوله: "أمل اليوم وعدة الغد" حيث أسند الأمل لليوم والعدة للغد إسناد غير حقيقي مرادًا بهما الإنسان الموجود في الوقتين للعلاقة الزمانية بين المعنى الأصلي والآخر المجازي.

وإلى الديوان الثاني يعود بك الحديث-سيادة القارئ-وهو الآخر طما بحره، وتلاطم موجه بعديد من الوجوه المجازية ذات العلائق المتشعبة، والقرائن المتنوعة، دونك أولا نماذج المجاز العقلي ذي العلاقة السببية، يقول الشاعر:

أَزْمَة الْبَتْرَوْلِ قَدْ خَارَتْ قوْانَا ** كَيْفَ نُصْلَى بِالْأَسَى الْحَرْب الْعَوَانَا؟

[٤١١] ألبي، عيسى أبو بكر. *السباعيات*. المرجع السابق. ص٩٢-٩١.

نِعْمَةُ الْبَتُـرَولِ قَـدْ بَدَّلَهَـــا ** نِقْمَةً قَوْمِي فَـــــــلَاقِينَا الْهَـوَانَا

إِنَّنَا نَشْقى وَفِـــــي جَنَاتِنَا ** كُلُّ مَا يَسْعَدُ أو يُرْضِـــــي الْعَيَانَـا

أَيُّ حَظٍّ حَظُّنَا هَذَا الَّـذِي ** يَجْلِبُ النَّحْـسَ وَلَا يُعْطِي الْأَمَانَـــا؟

أَسْعَدَ الْبُتُرولُ قَوْمًا بِالْهنَـا ** وَبِهِ يَـــــــا قَوْمَنَا نَشْكُو الطّعَانَا.[٤١٢]

تأمل كيف صوّر الشاعر المشكلة التي تعانيها ديار نيجيريا من جراء سوء تصرف وكلاء النفط، والنفط هذا ثروة غالية من الثروات التي امتن الله بها على أهل هذه البلاد فضلًا منه ونعمةً، فحوّلها هؤلاء الفجرة الكفرة نقمةً، فأصحبت لا تسمن ولا تغني من جوع، هذا،

لقد أسند الشاعر ألبي تضعيف قوي المواطنين إلى أزمة البترول في قوله: "أزمة البترول قد خارت قوانا" كما أسند تبديل نعمة البترول نقمة إلى قومه عندما يقول: "نعمة البترول قد بدلها نقمة قومي"، وأسند كذلك الإسعاد إلى الثروات التي تكرّم بها المولى العظيم على هذه البلاد في قوله: "إننا نشقى وفي جناتنا كل ما يسعد"، وهكذا أسند جلب النحس إلى حظّ الشعب في قوله: "أي حظّ حظّنا هذا الذي يجلب النحس"، وأخيرًا أسند الشاعر إسعاد قوم إلى البترول في الدول الراقية كما في قوله: "أسعد البترول قوما يا لهنا" وأنت تعلم يقينا أن لهذه الإسنادات كلها غير حقيقية، وإنما هي مجازية عقلية ليست إلا، والعلاقة فيها جميعا السببية كما هي واضحة.

ومن المجازات العقلية ذوات العلاقة المكانية، الواردة في هذا الديوان قوله:

نَـــــائِبَةٌ مَنْ هَمَّهُ وَصْفُهَا ** يَخْوُنُهُ بَيَانُهُ رَاغِمَا

سبْتَمْبَرُ الْأَسْوَدُ شَهْرٌ غَدَا ** يذكُرُهُ عَالَمْنَا نَاقِمَا[٤١٣].

[٤١٢] ألبي، عيسى أبو بكر. *السباعيات*. المرجع السابق. ص٧٤.

[٤١٣] ألبي، عيسى أبو بكر. السباعيات. المصدر السابق. ص٧٦.

فقد أسند الشاعر فعل "يذكره" إلى "عالمنا" إسنادًا مجازيًّا ذا العلاقة المكانية، إذ العالم لا يعقل فيذكر تلك النائبة النكراء، وإنما يذكرها من فيه، ولا يخفى ما بين العالم والكائن فيه من صلة وقرب، إذ العالَم مكان يترعرع فيه الكائنات الحية، إذن العلاقة المكانية. ونظير ذلك قوله في موطن آخر:

إِنِّـــي أُحِبَّ بَلَاغَةَ الْفَيْتُورِي ** وَالنُّوْرُ يلفِظُهُ فَمُ الْدُّيجُورِ

أفريقيَا الْسَّوْدَاءِ نَالَتْ حَظَّهَا ** وَنُعُوتُهَا مِنْ شِعْرِهِ الْمَوْفُورِ[٤١٤].

فإنه في البيت الثاني أسند فعل "نالت" إلى "أفريقيا" التي ما هي إلا بقاع وقطاع يقيم بها شعوب وقبائل من شتى أجناس البشر ذات التحديد الجغرافي والخصائص المتميزة، عرفا وتقاليد وعادات ولغات، فهذا الإسناد مما يسمّيه البيانيون بالمجاز الحكمي العقلي ذي العلاقة المكانية مرادًا بها أهلها وسكانها.

ومن ألطف شواهد المجاز العقلي (الحكمي) ذي العلاقة الزمانية في هذا الديوان (السباعيات) قوله:

فِي سَيِدِي عُمَرَ الْفَارُوقِ إِنَّ لَهَا ** وَقْعًا يُثِيرُ نُفُوْسًا فِي مَحَـــاشِيهَا

نُعْوتُهُ فِي فَمِ الْأَزْمَانِ بَاقِيَةٌ ** فِي الشِّعْرِ وَالنَّثْرِ لاَ تُبْلَى مَعَانِيهَا[٤١٥].

فإسناد الشاعر نعوت الفاروق–رضي الله تعالى عنه–إلى فم الزمان في البيت الأخير ما هو إلا إسناد مجازي أراد به أهل الزمان، فهل يتخيل أحد أن للزمان فمًا ينطق به مفصحًا عما في صدره؛ وإذا كان الجواب: لا، وكان: لا، إذنْ ما المقصود بالزمان حقيقة ولكن الموجودون فيه على سبيل المجاز العقلي ذي العلاقة الزمانية.

ومن نماذج المجاز العقلي الحكمي ذي العلاقة المصدرية في الديوان قوله:

---

[٤١٤] ألبي، عيسى أبو بكر. السباعيات. المصدر السابق. ص٨١.

[٤١٥] ألبي، عيسى أبو بكر. *السباعيات*. المصدر السابق. ص٩٦. قالها الشاعر بعد قراءة كتاب (عبقرية عمر) للكاتب القدير عباس محمود العقاد.

فَشَلَ الْفَاشِلُوْنَ فِي الْإِنْتِخَابِ ** فَدَعُوا قَوْمَهُمْ إِلَى الْاضطرَابِ

قَدْ أَدَارَتِ بِلَادَهُمْ دَوْلَةَ الْعَنَـ ** ـفِ وَقَمْعِ الْمِثَـارِ وَالْإِرْهَابِ[٤١٦]

في البيت الثاني يرى الشاعر إسناد إدارة البلاد إلى الدولة إسنادًا مجازيًا، وهل الدولة هي التي تدير وإنما يدير رجالها، وعلاقة هذا المجاز مصدرية، والمصدر من شأنه يفيد العموم، والشمول، والإحاطة، والاستيعاب، محاولةً منه توبيخ الظواهر الكريهة، وكأنه لم يكن من رجالها من يسعى لمصالح الشعب، ومنافع الوطن الحبيب، ورجالها مكونون من أشرار وأخيار لذلك لم يسند الفعل إليهم بل الأحرى والأنسب في مثل هذا الموقف أن يسند إلى المصدر تلك الصور البشعة التي لا يرضى بها ذو أرب ولا حجا، للعلاقة المصدرة.

ومن نظيرة قوله في موضع آخر:

وَيُؤْلِمُ قَلْبِي أَنْ أَرَى الْطِفْلَ بَائِسًا ** وَتَـمْلَأُ دُنْيَا الْمُتْرَفِينَ الرَّغَائِدُ

يُطَارِدُهُ الْحِرْمَانَ مِنْ كُلِّ وِجْهَةٍ ** فَلَيْسَ لَهُ فِي أَمْرِهِ مَنْ يُسَاعِدُ[٤١٧].

نظم الشاعر هذه القصيدة بمناسبة يوم الطفولة العالمي في ٢٧ ما يو ٢٠٠٣م ليشارك الأطفال في فعاليات يومهم محتفلًا بهم، وهناك يبدو للشاعر الفرق الشائع والبون البائن بين أطفال الفقراء المعدمين، وأطفال الأثرياء المترفين، هذا يسكره ويطغيه السبع، وذاك يضربه ويقتله الجوع، وكلّ من هؤلاء وأولئك على مسرح الاحتفال بهذا اليوم، ولله دره روعةً أدبيةً، ما أروع أسلوبه، وما أوسع خياله، هذا طفل الفقير يمشي في الشوارع كأنه لم يكن من ماء وطين كالآخرين، كل شيء ضده، يطارده الحرمان

[٤١٦] ألبي، عيسى أبو بكر. *السباعيات*. المصدر السابق. ص٦٦.

[٤١٧] ألبي، عيسى أبو بكر. *السباعيات*. المرجع السابق. ص٦٩.

على سبيل المجاز العقلي ذي العلاقة المصدرية، وناهيك ما ختم به الشاعر القصيدة، ختامها مسك، اصغ إليه:

وَيَسْمَعُ عِنْدَ النَّاسِ أَنْتَ زَعِيمُنَا ** غَدًا، وَالْغَد الْمَجْهُولِ لاَ شَكَّ فَاسِدُ

يَعِيب تَضيِيْعَ الْصِّغَارِ جُهُودَكُمْ ** فَهَلْ تُرْتَجَى مِمَّن يُضِيعُ الْفَوَائِدُ؟

وعلى هذه الشاكلة من صورة المجاز الحكمي (العقلي) ذي العلاقة المصدرية ورد قوله:

إِنَّ اعتكَـــافَكَ فِي الصُّدُو ** رِ يَفُلُّ حَدّ الْمَطْمَعَ

وَيُتِيحُ لِـلْإنسان أَنْ ** يَرْجُو طَرِيقَ الْأَلْمَعِي[٤١٨].

حيث أسند فِعْلَيْ "يفلّ" و"يتيح" إلى "اعتكافك" إسنادًا مجازيا غير حقيقي للعلاقة المصدرية.

ومن ملامح المجازات العقلية ذات العلاقة المفعولية الواردة في الديوان قوله:

هَذِهِ الدُّنْيَا عَجِيبٌ أَمْرُهَا ** لِنَعِيمٍ كَامِنٍ فِي بَأْسِهَا[٤١٩].

يعبّر الشاعر في هذا البيت عن أحوال الدنيا وظروفها التي لم تتسم بصفة معينة، وإنما هي ألوان وأشكال وضروب، ربّ أمرٍ ظاهره ضاحك وباطنه يبكي، والعكس كذلك، على هذا يفهم أن شأنها يعجب الناس، وصورة المجاز العقلي في البيت قوله: "عجيب أمرها"، وقوله: "لنعيم كامن في بأسها"؛ فإن شأن الدنيا ليس هو الذي يتعجب وإنما معجب به، ولم يكن النعيم هو الذي كمن في البأس بل مكمون فيه، إذنْ في العبارة مجاز عقلي ذو العلاقة المفعولية.

ومن الأبيات المنطبقة على المجاز العقلي ذي العلاقة المفعولية أيضا قول الشاعر:

أَخْبَارُهُمْ فِي رُبُوْعِ الْأَرْضِ شَائِعَةٌ ** أَيْنَ الَّذِي سَمِعَ الْأَخْبَارَ فَابْتَسَمَا؟[٤٢٠]

---

[٤١٨] ألبي، عيسى أبو بكر. *السباعيات*. المرجع السابق. ص ٦٩.

[٤١٩] ألبي، عيسى أبو بكر. *السباعيات*. المرجع السابق. ص٥٣.

محلّ الشاهد في هذا البيت المسرود، حيث ذكر الشاعر أن أخبار قومه شائعة في ربوع الأرض، فيما يلاحظ هل للأخبار أرجل تمشي بها، أم أجنحة تطير بها فنشى نفسها بنفسها؟ فتكون هي الشائعة، الأخبار لم تشع وإنما يشيعها الركبان، إذنْ أخبار قومه مشاعة على طريق الأداء الفني والتصوير البياني فيه إسناد مجازي علاقته المفعولية.

المطلب الثاني: فنّ من المجاز المرسل

والمجاز المرسل كما سبق: مجاز لغوي كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له ملابسة ومناسبة غير المشابهة كاليد إذا استعملت في النعمة، لما جرت به العادة من صدورها عن الجارحة وبواسطتها تصل إلى المقصود بها، ويجب أن يكون في الكلام دلالة على رب تلك النعمة ومصدرها بنسبتها إليه ومن ثمّ لا تقول: اقتنيت يدًا، ولا اتسعت اليد في المدينة كما تقول-ولا حرج-: اقتنيت نعمة، وكثرت النعمة في البلد[٤٢١].

ويعرف البلاغيون "العلاقة" بأنها: الأمر الذي يقع به الارتباط بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي فيصحّ الانتقال من الأول إلى الثاني، وهذه العلاقة التي تربط في المجاز بين المعنيين: الحقيقي والمجازي قد تكون "المشابهة" نحو: "رأيت زهرة تحملها أمها، تريد: طفلة كالزهرة في نضارتها وجمالها. وقد تكون العلاقة "غير المشابهة" كالجزئية في قوله: ﴿ وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾[٤٢٢] يريد: "وصلّوا"؛ لأن الركوع جزء من أركان الصلاة، فأطلق الجزء وأراد به الكل مجازًا[٤٢٣].

---

[٤٢٠] ألبي، عيسى أبو بكر. *السباعيات*. المرجع السابق. ص١٥٤.

[٤٢١] المراغي، أحمد مصطفى. ١٤٣٠هـ. *علوم البلاغة*. بيروت: المكتبة العصرية. ص٢١٠.

[٤٢٢] القرآن. البقرة ٢: ٤٣.

[٤٢٣] عتيق، عبد العزيز. *علم البيان*. المرجع السابق. ص١٠٨.

وللمجاز المرسل علاقات عديدة، إلا أن بعضها لا يخلو من التكلف والتصنع، وسيرتكز الباحث على إيراد أكثر هذه العلاقات دورانًا في الكلام البليغ:

١- السببية: وهي كون الشيء المنقول عنه سببًا ومؤثرًا في غيره، وذلك ينجسم فيما إذا ذكر لفظ السبب وأريد منه المسبب، نحو: "رعت الماشية الغيث" أي: النبات؛ لأن الغيث (المطر) سبب فيه، وقرينته لفظية وهي (رعت) لأن العلاقة تعتبر من جهة المعنى المنقول عنه، ونحو: "لفلانٍ عليّ يد" تريد باليد النعمة لأنها سبب فيها[٤٢٤].

هذا، ويلاحظ الباحث أن في معرض الحديث عن المجاز العقلي ومن علاقاته السببية أيضا، وقد يتساءل الإنسان: ما الفرق بين "السببية في المجاز الحكمي العقلي" و"السببية في المجاز المرسل"؛ والحقيقة أن الفرق بينهما كبير وإن اتحدت الشمسية، فالسببية في المجاز العقلي لم تخرج بالكلمات عما وضعت له في اللغة، فقوله سبحانه: ﴿ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ ﴾[٤٢٥] استعملت فيه كلتا الكلمتين (الربح والتجارة) في المعنى الذي وضعه الله لكلّ منهما، أما في قولك: "رعينا الغيث"، و"حلت يد فلان عندي"، فإن كلمتي (الغيث واليد) استعملتا في غير ما وضعتا له، فقد استخدم الغيث هنا في النبات، واليد في النعمة[٤٢٦].

٢- المسببية- بفتح الباء الأولى-: وذلك حينما يكون اللفظ المذكور مسبّبًا عن المعنى المراد، ويكون المعنى المقصود سببًا في المفردة المذكورة، خذ على سبيل المثال قوله جلّ وعلا: ﴿.. وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاء رِزْقًا..﴾[٤٢٧]، وهل تمطر السماء ذهبًا أم فضة؟ لا، ثم ألف كلا، فكلمة "رزقا" في الآية مجاز مرسل بمعنى: المطر، وهذا الماء يكون سببا في الرزق، فالرزق مسبب عن المطر.

---

[٤٢٤] الهاشمي، السيد أحمد. ٢٠١٧م. *جواهر البلاغة*. دار العلم والمعرفة للنشر والتوزيع. ص٢٩٦.

[٤٢٥] القرآن. البقرة ٢: ١٦.

[٤٢٦] عتيق، عبد العزيز. *علم البيان*. المرجع السابق. صـ:١٠٨.

[٤٢٧] القرآن. غافر ٤٠: ١٣.

٣- الجزئية: كون اللفظ المستعمل جزءًا من المعنى المراد، ومنه قوله عزّ من قائل: ﴿...فَتَحۡرِيرُ رَقَبَة مُّؤۡمِنَة...﴾[٤٢٨]، ولا شكّ أن المقصود به تحرير الإنسان المؤمن، والرقبة جزء منه.

وإذا رجعت إلى الأمثلة التي يستدلّ بها البيانيون على العلاقة الجزئية في المجاز المرسل لكي تؤدي غرضًا بيانًا لا بدّ لها من شروط، إذ ليس كلّ جزء يمكن أن يعبر عن الكل، ألا ترى أن الرقبة التي عبّر بها عن الإنسان، هي من الأمور التي لا حياة بدونها؛ إذ لا يمكن أن نتصور ويراد بها الجاسوس، ألا ترى أكثر الأجزاء وأخطرها شأنا لمن أراد مراقبة الأعداء؛ ثم ارجع البصر كرتين إلى القيام الذي استعمل وأريد به الصلاة، ألا ترى أنه من أشرف أركانها وأعظمها[٤٢٩].

٤- الكلية: ذلك عندما استعمل الكل وأريد الجزء، كقوله تعالى: ﴿... يَقُولُونَ بِأَفۡوَاهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡ...﴾[٤٣٠]، فالإنسان لا يتكلم بفمه وإنما يتكلم بلسانه، فإطلاق الأفواه على الألسنة مجاز مرسل علاقته "الكلية".

٥- اعتبار ما يكون: وهو أنْ يسمّى الشيء المستعمل باسم ما يؤول عليه في المستقبل، قال المولى العظيم: ﴿قَالُواْ لَا تَوۡجَلۡ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ﴾[٤٣١]، ولا شكّ أن العلم سيؤول إليه في المستقبل.

٦- الحالية: هي أن يكون اللفظ المستعمل حالًا في المعنى المراد، فيطلق اسم الحال ويراد المحل كما في الآية القرآنية الآتية: ﴿...فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[٤٣٢].

فكلمة: "الرحمة" مجاز مرسل معناها الجنة، ولما كانت الجنة محلًا للرحمة، والرحمة حالة فيها، حسن أن يحل أحد المعنيين محل الآخر، أو إحدى الكلمتين مكان الأخرى، وعلاقته الحالية.

---

[٤٢٨] القرآن. النساء٣: ٩٢.

[٤٢٩] الهاشمي، السيد أحمد. ٢٠١٧م. *جواهر البلاغة*. دار العلم والمعرفة للنشر والتوزيع. ص٢٩٦.

[٤٣٠] القرآن. آل عمران٣: ١٦٨.

[٤٣١] القرآن. الحجر١٥: ٥٣.

[٤٣٢] القرآن.آل عمران ٣: ١٣. ١٠٧.

٧- المحلية: وهي عكس العلاقة السابقة، وذلك فيما إذا ذكر لفظ المحل وأريد الحال لما بينهما من ملازمة، ومنه قول الشاعر:

لاَ أَرْكَبُ الْبَحْرَ إِنِّي ** أَخَافُ مِنْهُ الْمَعَاطِبُ

طِينٌ أَنَا وَهُوَ مَـاءُ ** وَالطِّيْنُ فِي المَاءِ ذَائِبُ

فالمجاز في كلمة "البحر" حيث أراد بها الشاعر "السفن" التي تجري فيه، فالبحر هو محل جريان السفن، فإطلاق المحل "البحر" وإرادة الحال فيه "السفن" مجاز مرسل ذو العلاقة المحلية.

٨- الآلية: ذلك إذا ذكر اسم الآلة وأريد الأثر الذي ينتج عنها، نحو قوله تعالى: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾[٤٣٣]. فالمجاز في كلمة (لسان) والمراد: اجعل لي قول صدق أي: ذكرًا حسنًا، فأطلق اللسان الذي هو آلة القول على القول نفسه سيرًا وراء المجاز المرسل ذي العلاقة الآلية.

٩- المجاورة: هي كونه الشيء مجاورًا لشيء آخر، نحو: كلمت الجدار والعامود، أي: الجالس بجوارهما، فالجوار والعامود مجازان مرسلان علاقتهما "المجاورة".

تلك هي بعض علاقات المجاز المرسل، وهي كثيرة ومتعددة يرجع بعضها إلى بعض، ويتولد بعضها من بعض، ويجمعها قانون واحد وهو اللزوم، بمعنى أن يكون هناك تلازم وارتباط بين المعنى المنقول عنه والمعنى المنقول إليه، بحيث ينتقل الذهن من الأول إلى الثاني.

ولا غرو أن هذه الصور المجازية سميت مرسلة لأن الإرسال هو الإطلاق، فهي مطلقة في علاقاتها أي: ليس لها علاقة معينة كما هو الشأن في الاستعارة، فالاستعارة علاقتها المشابهة كما عرفها الباحث.

---

[٤٣٣] القرآن. الشعراء٢٦: ٨٤

من المقطوع به أن الشاعر ألبي اعتاد أن يتخذ المجاز المرسل وسيلة البيان، وطريقة التعبير، وهدته فطانته إلى وجوه منها ترفع ما يعرف بالبداهة إلى ما يوحي بالندرة، لأن الصناعة تقتضي أحيانا أن يلجأ إليها ليصب معاني شعره في القوالب التي يتصورها خياله، والأشكال التي يستسيغها ذوقه الفني، حيث كشف هذا كله الغطاء عن تفننه وابتكاره وقدرته على الربط بين الفنون والمعاني المتباينة، فمنح الألفاظ قدرة على تجاوز دلالتها الأصلية إلى دلالات ومعانٍ أخرى تستوحى من سياق الكلام، وسيقف الباحث على ستة نماذج تحليلًا بلاغيًّا.

نعم، من ألمح وأملح ما نسج الشاعر بخياله المرهف مجازًا مرسلًا قوله في وصف هجرة الرسول- عليه أفضل الصلاة وأتمّ التسليم-منشدًا:

يَا يَوْمَ هِجْرَةِ خَيْرِ مِنْ وَطِئَ الثَّرَى ** لِيَكُنْ فَخَارُكَ خَيْرُ كُلِّ فَخَارِ

يَا يَوْمَ هِجْرَةِ خَيْرِ مَنْ دَانَتْ لَهُ ** خَوْفًا وَذلًا رَقْبَة الْجَبَّـــــارِ

يَا يَوْمَ هِجْرَةِ يَوْمِ مَنْ يَهْدِي الْوَرَى ** بِهِدَايَةِ الْقُرْآنِ ذِي الْأَسْـــرَارِ

يَا يَوْمَ هِجْرَةِ خَيْرِ مَنْ قَامَتْ لَهُ ** قَدِمَ الْبُغَاةُ مَخَافَةَ الْإِضْـــرَارِ

يَا يَوْمَ هِجْرَةِ خَيْرِ مَنْ كَانَتْ لَهُ ** فِي الْحَرْبِ نُصْرَة رَبِّهِ الْقَهَّــارِ[٤٣٤].

وفيما يلاحظ الباحث أن في هذه الأبيات المسوقة كيف مزج الشاعر وصف الهجرة بمدح صاحبها الرسول الأكرم (صلوات الله وتسليماته عليه)، وكيف لا؟ وهل تكون الهجرة بدونه؟ وإن شئت بهذه العبارة: "ما الهجرة لولا؟" إنه لهجرة إنسانٍ لم يشهد التاريخ البشري أكمل إنسان، وإنسان العين مثله في شتى الجوانب، ومختلف المواقف، هذا الإنسان الذي سجد الأعداء بين يديه مذلّةً واستكانة، ودانت له رقبة جبابرتهم، وفي إمعان النظر إلى تلك الصور المجازية البديعة (دانت له رقبة الجبار) إنه ذكر

[٤٣٤] ألبي، عيسى أبو بكر. *الرياض*. المرجع السابق. ص٤١-٤٢.

الرقبة مريدا بها شخصيتهم وذاتهم، أراد لكلّ وأطلق الجزء على نمط المجاز المرسل ذي العلاقة الجزئية، ويبدو للباحث أن في الجملة مجازًا لطيفًا آخر لا يتفطن له إلا ذوو الأذواق الراقية، وهذا يتمثل في قوله: "الجبار" فالشاعر أطلق الجبار وأراد به أعداءه كلهم، وفيه ما فيه من الدقة والإيحاء في منتهى الفصاحة حيث يفهم من ظاهر العبارة إيماء أن الإنسان الذي سجد لعظمته الجبابرة دلالة على النصر العزيز والفتح المبين، فما ظنك بمن دونهم من عامة الناس؟ ولقد صدق العالم البلاغي عندما استخدم الذوق البياني في إطلاق الجزء وإرادة الكل، اصغ إليه وهو يقول: "لابدّ في الجزء المطلق على الكل من أن يكون له مزيد اختصاص بالمعنى الذي قصد بالكل، فمثلا لا يجوز إطلاق اليد أو الإصبع على الربيئة وإن كان كل منهما جزءًا منه"[٤٣٥].

ونظير ذلك كما يلمس في البيت الذي يليه حيث وصف القرآن الكريم بـ"ذي الأسرار" مع أن موج القرآن متلاطم بعدّة مزايا، وعديد خصائص والتي من جملتها: الأسرار، والأنوار، والغرائب، والعجائب، والنوادر، والجواهر، فوصفه بذي الأسرار وصف جانبي وله جوانب أخرى لم يتطرق إليها، ولم يبلغ ولن يبلغ كنه وصفه البيان، وهو إذنْ ضرب من المجاز المرسل ذي العلاقة الجزئية.

وعلى شاكلة هذا وذاك ورد قوله: "قامت له قدم البغاة" فهل يتصور أن البغاة أنفسهم لم يقوموا وإنما قامت قدمهم فحسب؟ وإنما عبّر بالقدم كالجزء المهمّ في القيام وأراد بها الجسد كلّه، وهو أيضا مجاز مرسل علاقته الجزئية، ويلمح أن نظير هذه الفنون قوله في البيت الأخير: "له في الحرب نصرة ربه" يوحي ظاهر هذا القول أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) هو وحده حصل على نصرة الله دون سائر بقية صحابته الأفاضل الذين آزروه ونصروه في تلكم الغزوات، والمعنى خلاف ذلك، إنما عمّهم هذا النصر

[٤٣٥] القزويني، *كتاب التلخيص*. المرجع السابق. ص٢٩٨.

وصحّ هذا الاستعمال لأن الرسول نصره وهو نصر المؤمنين فما ظنك بيني يقول: "يا ربّ أنا لا أسألك آمنة أمي، ولا خديجة زوجتي، ولا فاطمة ابنتي، ولكن أسألك أمتي"، والنبي الأعظم جزء كالكل.

وإليك نموذجًا آخر من روائع الشاعر وملامح صور المجاز المرسل عنده الخاضعة للفن الرفيع، والمستجيبة للأداء الفني، يقول:

مَرْحَبًا مَرْحَبًا بِعِشْرِينَ عَامًـــا ** هَاكَ مِنَّا بِالْإِحْتِرَامِ سَـــــلَامَـــا

يَا إِلَوْرِنْ بُشْرَاكَ إِنَّكَ الْـــ ** يَوْم تَلْقِينَّ بِالْعُلَا أَعْلَامَـــــــــا

أُمَرَاءُ الْبِلَادِ قَدْ حَضَرُوا الْحَفْـ ** ـلَةَ يبْدُونَ لِلْأَمِيرِ احترَامَـــــــا

انْظُرُوا الْسُّحْبَ كَيْفَ تُرْسِلُ غَيْثًا ** وَانْظُرُوا الْأَرْضَ كَيْفَ تُهْدِي طَعَامَا

وَانْظُرُوا الْأَرْضَ كَيْفَ يَعْمُرُهَا النَّا ** سُ سَلَامًا وَعِزَّةً وَوِئَامَـــــــا

وُسّعَتْ هَذِهِ الشَّوَارِعُ فِي عَصْـ ** ـرِكَ وَاللَّهِ أَنْتَ تُهْدِي الْأَنَامَـــا

أَنْشَؤُوا فِي زَمَانِهِ جَامِعَات ** لِتُلْقَى الْعُلُومُ فِيهَا ضِحَامَـــا

وَمَطَـــــارًا بَنَوْهُ لِلْحُجَّاجِ ** ثُمَّ نَالَ الْمُسَافِرُونَ نِظَامَـــــا

أَدْخَلُوا فِـــي زَمَانِهِ كُلَّ شَيْءٍ ** كَانَ فِي كُنْهِهِ نِظَامًا تَمَامًـــــا[٤٣٦].

إن هذه الأبيات آية كبرى تصدق شاعرية عيسى ألبي وتفاعله الإيجابي مع أفراح القوم، وتيارات العصر، وحوادث الزمان، فهو يصور بيئاته بكل ما فيها من صغير أو كبير، دق أو جلّ من الجوانب الحياتية المترامية، واستطاع بملكته الأدبية وقدرته الشعرية أن يستخدم الفنون البيانية ليعبر عما يثلج في صدره من أحاسيس ومشاعر بما فيها الأنماط المجازية التي كان البحث بصدد عرض نماذجها وتحليل نصوصها.

[٤٣٦] ألبي، عيسى أبو بكر. *الرياض*. المرجع السابق ص٤٢.

فالقصيدة كما يدلنا مطلعها جادت بها قريحة الشاعر تفاعلًا ومشاركةً في ذكري مرور عشرين عامًا على اعتلاء الأمير ذي القرنين غمنبري عرش إمارة إلورن عام ١٩٧٩م، صوّر امتلاء قصره والإمارة بصفة عامة بأجلة القوم من الأمراء والملوك من شتى أنحاء المعمورة، مرصّعًا ذلك كله ببيانات هائلة، وشروح مستفاضة تدل أهلية سموّ الأمير بهذا الشرف العظيم، وذلك الإكرام المنقطع النظير، ولم لا؟ وقد شهد المواطنون في عهده ملامح التقدم والازدهار، وحققوا إنجازات عديدة، ما أسعدهم بتولية مثله أميرًا، تعرّض الشاعر لذكر بعض تلكم الإنجازات على سبيل المثال لا الحصر، والتي منها: غزارة الغيث النافع، ووفرة الأطعمة، وسعة نطاق الإمارة للدلالة على زيادة عدد السكان والوافدين إليها، وإنشاء الجامعات والمطار العصري وهلمّ جرًا.

تتجسد وجوه المجاز الواردة في النص في قوله: "أمراء البلاد قد حضروا الحفلة"، وكأنه لم يبق في البلاد أمير إلا وشهد هذا الحفل الرائع مبالغةً منه، مع أن طبيعة البشر تقتضي غياب بعضهم، وهو بهذا أطلق الكل وأراد الجزء على طريق المجاز المرسل ذي العلاقة العمومية (الكلية)، وفي البيت الذي يليه هناك نوع آخر أو علاقة أخرى من علاقات المجاز المرسل في قوله: "وانظروا الأرض كيف تهدي طعاما"، والمعلوم أن الأرض لا تبت الطعام حقيقة، وإنما تهدي الزروع بأنواعها التي يتخذ منها أطعمتهم وأقواتهم، وهذا الضرب من المجاز المرسل علاقته المسببية على شاكلة ما مرّ بنا في تحليل قوله تعالى: ﴿...وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا...﴾[٤٣٧]. أي: مطرًا الذي يسبب الرزق.

وشبيه ذلك قوله: "وانظروا الأرض كيف يعمرها الناس" فإنه أطلق الأرض على مدينة إلورن كأنها هي كل الأرض وليست هناك أرض سواها، ويعمرها الناس كأن سكان مدينة إلورن وحدهم هم كل الناس على وجه الأرض بناء على صورة المجاز المرسل ذي العلاقة الكلية. ونفس الشيء في البيت

[٤٣٧] القرآن. غافر ٤٠: ١٣.

التالي له حيث قال: "أنت تهدي الأناما"، وكلمة "الأنام" مجاز لأنها تعني معجميا جميع ما على الأرض من الخلق[٤٣٨]وهل باستطاعة الأمير ذي القرنين أن يهدي جميع ما على الأرض من الخلق؟ إنه أراد أهل مدينة فقط وهو مجاز مرسل علاقته الكلية، ونظيره كذلك قوله: "أنشأوا في زمانه جامعات" ومحل الشاهد هنا لفظة "جامعات" بصيغة الجمع، حيث لم تكن هناك في عهد الأرض فوق جامعة إلورن وحدها، وأنشئت ما دونها بعد انتقال الأمير إلى الرفيق الأعلى، لكن الشاعر بالغ وكأنه يحاول أن يثبت للمتلقي أن جامعة إلورن وحدها تساوي عدة جامعات.

وقوله: "ومطارًا بنوه للحجاج" وإنما المطار لم ينشأ فقط للحجيج بل لجميع المسافرين أيًّا كانت غاية الراحل وهدف الظاعن، واقتصر على ذكر الحجاج لأن الإمارة تعني كثيرًا بالشؤون الدينية وتعجبها مزاولتها عقيدةً وعملًا، وكأنه أسس لأول يوم ليتمكن الناس من أداء ذلك السفر الروحي قبل تغلغل سياحات وظعائن تسلية النفوس، أو تلقي العلاج الطبي، أو للغرض التجاري وما إلى ذلك من الأهداف والأغراض التي يحققها المطار في الحياة المعاصرة.

ومن أروع شواهد المجاز المرسل ذي العلاقة المستقبلية أو كما سمّاها البيانيون (المتبار ما يكون) قوله:

طَابَ مَسْعَاكَ أَحْمَدُ الْبَيْغَوْرَي ** فَلِهَذَا تُحَـــاطُ بِـالْإِسْعَادِ

فَهَنِيئًا لَكُمْ لِمَيْـــلَادِ مَنْ كَا ** نَ حَدِيثَ الْخَيْرِ فِي كُلِّ نَادِ

حَظُّهُ فِـي الْحَيَاةِ حَظٌّ سَعِيدٌ ** وَافِرُ ٱلْخَيْرِ فِي سَبِيلِ السِّدَادِ

جَاءَ مِنْ عَالِمِ الْغَيْبِ رُوَيْدًا ** كَحُضُورِ الْمُلُوكِ وَالْأَسْيَـــادِ

---

[٤٣٨] *المعجم الوسيط*. المرجع السابق ص٤٧.

بَاذِلًا جُهُدَهُ كَمَا فَعَلَ الْأَجْـــ ** دَادُ فِي جُهُدِهِمْ لِقَمعِ الْفَسَادِ[٤٣٩]

والشاهد قوله في البيت الثاني عندما يهنئ صديقه سعادة القاضي أحمد بيغوري الذي رزقت أسرته بمولود جديد، اصغ إليه:

فَهَنِيئًا لَكُمْ لِمَيْـــلَادِ مَنْ كَا ** نَ حَدِيثُ الْخَيْرِ فِي كُلِّ نَادِ[٤٤٠]

فالطفل المولود لم يكن مضى على ولادته أكثر من أسبوع واحدٍ (غانية أيام)، يا شاعرنا ما أدراك أن الطفل الرضيع في مهده قد كان حديث الخيار حتى بالغت "في كل ناد"؟!، فالقارئ البلاغي يفقه السر البياني المكنون في صدق هذه العبارة، علمًا أنه عبّر به أملًا منه ورجاء لما سيؤول إليه في مستقبله القريب متورطا في في صنف الناس الذين يشار إليهم بالبنان، الذين يملؤون الشوارع والبلدان ذكرًا حسنًا، وحديثًا عطرًا، على سنة البلغاء في استخدام المجاز المرسل ذي العلاقة المستقبلية (اعتبار ما سيكون).

ونظير ذلك قوله في البيت الأخير:

بَاذِلًا جُهُدَهُ كَمَا فَعَلَ الْأَجْـــ ** دَادُ فِي جُهُدِهِمْ لِقَمْعِ الْفَسَادِ[٤٤١]

حيث صوّر هذا الطفل الرفيع النازل ضيفًا على أسرة سعادة القاضي أحمد بيغوري خلْقًا كريمًا، كثير الجود وعريض السماحة طفق ينفق كل ما في وسعه، متقمّصًا جهود الأجداد في الأيام الخالية الذين كرسوا حياتهم في قمع الفساد ومحاربة الجهل، ويستولي عليك العجب-سيادة القارئ-عندما علمت أن المخاطب طفل المهد، وينقطع العجب بعد علمك بفنون الكلام وأفنانه لدى خبراء البيان،

[٤٣٩] ألبي، عيسى أبو بكر. *الرياض*. المرجع السابق ص٩١-٩٠.

[٤٤٠] ألبي، عيسى أبو بكر. *الرياض*. المرجع السابق ص٩١-٩٠.

[٤٤١] ألبي، عيسى أبو بكر. *الرياض*. المرجع السابق. ص٩١-٩٠.

وعشاق المجاز المرسل ذي العلاقة المستقبلية وما ذلك كله إلا بعد نظره، وآية فراسته لما سيؤول إليه شأن هذا الولد في المستقبل اعتبارًا لما يكون.

وعلى هذه الشاكلة ورد قوله في القصيدة نفسها:

حَظُّهُ فِـي الْحَيَاةِ حَظٌّ سَعِيدٌ ** وَافِرُ الْـخَيْرِ فِي سَبِيلِ السّدَادِ[٤٤٢]

وما أدرى الشاعر بحظه لولا مسوغات البيان التي أباحت له هذا الاستعمال تفننا وعلاقته أيضا المستقبلية.

ومن أدق ما قاله الشاعر في المجاز المرسل ذي العلاقة السببية والمسببية ما يأتي:

"لُغَةُ الضَّادِ" هَلْ رَأَيْتَ مُحِبًّا ** لَكَ لاَقِى فِي الْحُبِّ كُلِّ عَنَاءِ؟

حَارَبَ اللَّاحِنِينَ فِيْكَ جَهَارًا ** فَأَجَـــادُوا فِي الْقَوْلِ وَالْإِمْلَاءِ

مَزَجَ الّلِينَ بِالتَّشَدُّدِ بِـالْـــحَزْ ** مِ لِتَخْفِيفِ وَطْأَةُ الْأَخْطَـــاءِ

نَاسِخًا لُكْنَةَ اللِّسَانِ مِنَ النَّا ** سِ فَعَافُوا تَحَدُّثَ الْعُجَمَـــاءِ[٤٤٣].

دقق النظر في البيت الثاني في قوله: "حارب اللاحنين" فإنه حقيقة لم يحارب اللاحنين وإنما حارب اللحن بالذات، ومما يؤكد ذلك قوله بعد ذلك: "فأجادوا في القول والإملاء"، ولو أن ممدوحه (الإلوري) الذي تدلّ الثوابت القوية على انتصاره في غزواته المتتالية التي خاضها قائدًا مظفرًا وانهزم الأعداء تحت قناته لا تحسّ منهم من أحدٍ ولا تسمع لهم ركزًا، فإذا كان الأمر كذلك، وكان كذلك أنى يأتي قوله: "فأجادوا في القول والإملاء"؛ تصوّر بعد الانهزام المرير، وهذا يُريك أنه حارب اللحن وهزم جنده وحدهم، ولما كان اللاحنون هم سبب تفشى اللحن، فالعلاقة بين المعنيين السببية.

---

[٤٤٢] ألبي، عيسى أبو بكر. *الرياض*. المرجع السابق ص٩١-٩٠.

[٤٤٣] ألبي، عيسى أبو بكر. *الرياض*. المرجع السابق. ص٢١٨.

وفي البيت الثالث هناك مجاز مرسل آخر في قوله: "لتخفيف وطأة الأخطاء" وإنما أراد بالأخطاء (المخطئين) أنفسهم، أو قد سمعت بأن الأخطاء تطأ الثرى؟، وإنما هذا المجاز اللغوي المرسل ذو العلاقة المسببية.

ومثل ذلك أيضا في قوله رثاء للشيخ المرحوم يحي مرتضى أغودي:

مَاذَا يُضِيفُ إِلَى الْعُقُولِ كَلاَمِي ** دُفِنَ الْكَلَامُ فَكَسِّرُوا أَقْلَامِـــي

يَحْيَى سَتَحْيَا فِي الْقُلُوبِ بِلَا مِرَا ** تَسْتَنْهِضُ الشُّبَانَ فِي الْأَحْـلَامِ[٤٤٤].

تأمل في هذه الأبيات تدرك أن قوله في البيت الأول: "دفن الكلام" مجاز، أليس من المستحيل أن يدفن الكلام حقيقة؟ وواضح أن المدفون هو المتكلم الذي ينتج الكلام ويسببه، والكلام مسبب منه على سبيل المجاز المرسل ذي العلاقة المسببية، وفي نفس البيت مجاز لطيف آخر يتمثل في قوله: "فكسروا أقلامي" قد تتساءل: هل كسّر أحد قلم الشاعر في الحقيقية، الجواب: لا، وإنّما عبّر عن شاعريته بالأقلام التي هي أداته ومعينته على تسجيل بنات أفكاره جريًا وراء المجاز المرسل ذي العلاقة الآلية. ثم في البيت الثاني مجاز دقيق متجسم في قوله: "يحي ستحيا في القلوب" فضمير الرفع المستتر في "ستحيا" العائد إلى المرحوم يحي مجاز، وإلا، هل عثرت على ميت دفن في القلب؟ أيمكن واقعيا أن يواصل الميت شخصيًّا بذاته في قلوب أحبابه؟ إذا كان الجواب: لا، وكان: لا، تدرك أنه عبّر عن خلود وبقاء ذكراه في ذاكرتهم وقلوبهم ببقاء وحياة شخصيته من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل مجازًا مرسلًا ذا العلاقة الكلية.

ومن أنصع وأجمل ما قال الشاعر في المجاز المرسل ذي العلاقة الحالية قوله:

فِـرَاقُ الْأُمِّ لِـــلْأَبْنَاءِ كَرْبٌ ** يَذُوبُ أَسَى بِهِ فِي الصَّدْرِ قَلْبٌ

[٤٤٤] ألبي، عيسى أبو بكر. *الرياض*. المرجع السابق. ص٢٠٩-٢٠٨.

وَمَرْيَمُ عِنْدَنَا فِي الْحُسْنِ عِطْرٌ ** يَشُـــــــمُ رَحِيقَهُ وَاللَّهُ عَقْبُ

وَمَثْوَاهَا النَّعِيمُ بِكُلِّ سَعْدٍ ** وَيَأْخُذُهَا إِلَى الْجَنَاتِ سِرْبُ[٤٤٥].

في البيت الأخير من الأبيات المسرودة وذلك عند قوله: "مثواها النعيم" فالمعلوم أن الإنسان لا يثوى في النعيم وإنما يثوى في الجنة التي هي محل النعيم، إذنْ ذكر الحال وأراد المحلّ بالذات، على طريق المجاز المرسل علاقته الحالية.

وعلى ضوء هذا النمط سار الشاعر في قوله:

آَبَـارُكُمْ تُشْفِي الْغَلِيلُ فَلَا ** يَسْرِي إِلَى آَبَارِكُمْ كَدَرُ[٤٤٦].

فالآبار لا تشفي الغليل، ولا تروي الغلة حقيقة، والذي يشفي الماء الجاري فيها، ذكر المحلّ وأراد الحال فيه، وهذا النوع عكس سابقه على أسلوب المجاز المرسل ذي العلاقة المحلية.

هذا، وكل ما مرّ بك أيها القارئ من الأمثلة فمستنبطة من الديوان الأول للشاعر (الرياض)، هنا تقتضي طبيعة الموضوع الالتفات إلى الديوان الثاني (السباعيات) وفيه أيضا ما يروي الغلة، ويشفي العلة، يقول الشاعر شكرًا واعترافًا بجميل السيد بدماص لنرى يوسف:

فَلَا تَزِلّ لَكَ الْأَقْدَامُ فِي عَمَلٍ ** يَسْعَى الْأُلُوفُ إِلَى إِحْرَازِهِ سَهْدَا[٤٤٧].

يتجلّى في البيت الأخير أن الشاعر مال إلى استخدام صورة مجازية وسيلة يعبّر بها عن شعوره تجاه الممدوح وذلك في قوله: "فلا تزلّ لك الأقدام" حيث أطلق الأقدام وأراد شخصيته كاملة، داعيًا له بحسن استقرار وتمكين، على سنن العرب في كلامها، تقول مجازًا لمن تمكن في فنون العلم مثلا: "رسخت

[٤٤٥] ألبي، عيسى أبو بكر. *الرياض*. المرجع السابق. ص٢١٤.

[٤٤٦] ألبي، عيسى أبو بكر. *الرياض*. المرجع السابق. ص٩٤.

[٤٤٧] ألبي، عيسى أبو بكر. *السباعيات*. المرجع السابق. ص٥٠.

قدمه فيها" أي: تمكن من النضوج في الفن المتحدث عنه، على هذا تجد أن الشاعر بهذه العبارة امتطى أسلوب المجاز اللغوي المرسل الذي علاقته الجزئية.

ومن وجوه المجاز المرسل في سباعيات الشاعر قوله:

أَفْهِمُوا بِالسُّرُورِ يَوْمَ الشَّهَادَة ** كَيْفَ لَا وَهْيَ مِنْ دَوَاعِي السَعَادَة

فِتْيَةُ الْعِلْمِ قَــدْ أَهَّبَهُمْ الْعَزْ** مُ فَسَـــادُوا إِلَــى الْعُلَا وَالسِّيَادَة

كَمْ رَأَيْنَا فِي الدَّهْرِ مِنْ مُلْكِ الدُّنْ ** ـيَا وَلَكِنْ جَهْلَه قَدْ أَبْـــــادَهْ[٤٤٨]

يلمس الباحث في هذه الأبيات الرائعة شاعرية عيسى ألبي وقدرته الإبداعية، انظر في قوله: "وهي من دواعي السعادة" اعتقادا منه أن من اقتنى الشهادة العلمية العالية سوف تعود–حتمًا–في المستقبل القريب أو البعيد سعادة، وهذه الصور للمجاز المرسل ذي العلاقة المستقبلية (اعتبار ما يكون). وفي إعادة النظر إلى البيت الثاني في قوله: "فساروا إلى العلا والسيادة" حيث صوّر الطلاب المتخرجين والمحتفل بهم يوم توزيع الشهادات بالسائرين إلى العلا والسيادة، إيحاء أن ما اكتسبوا من العلم، وما حصلوا عليه من المعرفة يسبب لهم ويؤهلهم التبوأ في عرش السيادة من بين أقرانهم ومعاصريهم في المستقبل، وأنت تعلم أنه يسار إلى العلا والسيادة، وإنما يسعى الإنسان مجدًّا لما يؤهله نيل العلا والسيادة، أراد السبب (المؤهلات) وأطلق المسبب (العلا والسيادة) تبعًا لقالب المجاز المرسل ذي العلاقة المسببية، وإن شئت فقل: علاقته اعتبار ما يكون لأن اكتساب المعارة وتحصيل المعارف سيؤول إلى نيل العلا والسيادة في المستقبل.

[٤٤٨] المرجع نفسه. ص٦٨.

ومن أمعن النظر في البيت الثالث والأخير يدرك أن قوله: "من ملك الدنيا" مجاز مرسل علاقته الكلية، إذ لا يمكن لإنسان أن يملك الدنيا كلها، وإنما يملك قطعة منها أو جزءًا، أراد الجزء وأطلق الكل.

ومن فنّ المجاز المرسل في الديوان قوله:

قَصِيدَةٌ قُلْتُهَا إِنِّي أُحَاكِيهَا ** يَا حَافِظَ النَّيْلِ مَا أَحْلَى قَوَافِيهَا[٤٤٩].

والشاهد هنا في قوله: "ما أحلى قوافيها" وهو يقصد بالقوافي القصيدة كلها سائرًا على درب معن بن أوس المزني الذي قال في ابن اخته:

أُعَلِّمُهُ الرِّمَايَةَ كُلَّ يَوْمٍ ** فَلَّمَا اشتدَّ سَاعِدُهُ رَمَانِي

وَكَمْ عَلَّمْتُهُ نَظْمَ الْقَوَافِي ** فَلَمْ قَالَ قَافِيَةً هَجَانِـي

يرى الباحث أن هذا الشاعر هو الآخر عبّر في البيت الثاني عن القصيدة بالقافية، والقافية جزء من القصيدة، فأطلق الجزء الذي هو القافية وأراد الكل الذي هو القصيدة، وصحّ هذا الاستعمال لأن القافية هي من أخطر أجزاء القصيدة، فالمجاز مرسل علاقته الجزئية.

ومما يستدلّ البلاغي على صورة المجاز المرسل ذي العلاقة المحلية في هذا الديوان قوله:

عَلَمَنِي حُبُّكَ أَنْ أَصْبِرَ ** وَالصَّبْرُ آمَنُ لِفَتَى أَبْحَرَا[٤٥٠].

فكلمة "أبحرا" تأتي بمعنى ركب البحر، وثَمَّ كان مجازًا، علْمًا أن البحر لا يركب، والذي قصد الشاعر به هو "السفينة" التي تجري فيه، فالبحر هو محل جريان السفن، فإطلاق المحل "البحر" وإرادة الحالّ فيه "السفن" مجاز مرسل علاقته المحلية.

---

[٤٤٩] ألبي، عيسى أبو بكر. *السباعيات*. المرجع السابق. ص٩٦.

[٤٥٠] ألبي، عيسى أبو بكر. *السباعيات*. المرجع السابق ص١٠٤.

ومن أجود ما قال الشاعر في سباعياته عن المجاز المرسل ذي العلاقة الآلية قوله:

وَخُلُقُهُ لَيْسَ لَهُ مَسْعَفًا ** لِكَيْ يَكُوْنُ عَامِلًا صانِعًا

حَيَاتُهُ سِكْسِيَةُ نَفْحُهَا ** كَـــانَ لَدَيْهِ فَنُهُ الطَّائِعًا[٤٥١]

إذا تأملت في البيت الثاني ترى كلمة "سكسية" وردت في النص مجازًا مرسلًا أراد بها الشاعر الموسيقا، والسكسية ما هي إلا عبارة عن الآلة الموسيقاة التي ينفخ فيها، أراد الموسيقا وأطلق عليها آلته (السكسية) على نمط المجاز اللغوي المرسل ذي العلاقة الآلية.

ومن صور المجاز المرسل في الديوان ذات العلاقة الجزئية هذان البيتان، يقول في أحدهما:

يُعَيِّرُوْنَ مَسَاعِي (سيبويه) وَفِي ** قُلُوبِهِمْ لِحُمَاةِ الدِّينِ أَحْقَادِ[٤٥٢].

والآخر يقول:

بَثُّ الشَّكَاوَى لِأُذْنٍ غَيْرِ صَاغِيَةٍ ** تُضِيفُ حَتْمًا إِلَى آلَامِ أَضْرَارِ[٤٥٣].

فإنه يوبّخ في البيت الأول فئة من المتخصّصين في العربية الذين يأكلون شرفها، يتكسبون الشهرة بفضلها، ثم لا يراعون حقها، ولا يحمون حماها، مضيّعي جهود المشايخ الأجلاء الذين لا تندرس آثارهم الخالدة، ولا ينسى التاريخ أدوارهم المشهودة، وعلى رأس أولئك الأفذاذ ذلكم العالم النحوي سيبويه (رحمه الله عليه) ويتجسد المجاز في قوله: "مساعي سيبويه" بدلًا أن يقول: "مساعي علماء النحو واللغة" أطلق سيبويه وأراد جميع العلماء الأكارم ذوي البصمات الواضحة في خدمة اللغة والدين، مع أن هذه المساعي وتلك الجهود لم تكن صنيعة سيبويه وحده، لكن هذا الاستعمال من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل مجاز مرسل علاقته الجزئية. ولم لا؟ وكيف لا يصحّ هذا الإطلاق؟ ولا يخفى على ذي البصيرة الثاقبة أن سيبويه

[٤٥١] ألبي، عيسى أبو بكر. *السباعيات*. المرجع السابق. ص١٠٧.

[٤٥٢] ألبي، عيسى أبو بكر. *السباعيات*. المرجع السابق. ص١٩٢.

[٤٥٣] المرجع نفسه. ص١٣١.

هو النحو بكل معنى الكلمة، والنحو هو سيبويه، لا ندري أنقول: لولا سيبويه ما عرف النحو، أو لولا النحو ما عرف سيبويه!.

وهو ينطبق مع سؤال وُجّه إلى الإمام علي-رضي الله عنه-هل عرفت ربك بمحمد أم عرفت محمدًا بربك؟ فقال: "عرفت ربي بربي ولولا ربي ما عرفت ربي"[٤٥٤].

وفي البيت الآخر عبّر الشاعر عن المستمعين للشكاوى بالأذن (وهي حاسة السمع) التي لولاها يستحيل الاستماع، وقال: "بثّ الشكاوى لأذن غير صاغية" أي: لأناسٍ غير مستعدين للاستماع عن طريق المجاز المرسل ذي العلاقة الجزئية، وإن شئت علاقته الآلية.

ومن ألذّ ما قاله الشاعر في المجاز المرسل ذي العلاقة السببية قوله:

أَتَاَ مَنْ كَلَّمَ بِالشِّعْرِ الْعُقُولَا ** وَيَرَى بِالْحِلْمِ وَالْحُسْنَى السَّبِيلاَ

يَا حَزِينَا جَاءَ يَشْكُو حَظَّهُ ** اِجْعَلِ الرَّحْمَنَ فِي الدُّنْيَا وَكِيلاَ[٤٥٥].

يتضح جليًّا أن الشاعر في البيت الأول لم يكلّم العقول حقيقة، وإنما كلّم أصنافًا من الناس، وما أدراك ماهم؟ أ كل الناس يكلم بالشعر؟ لا، إنما يكلم به عقلاء البشر، ولما كان العقل هو السبب في توجيه الكلام إلى هؤلاء نسي أو تناسى أنه يخاطب خلْقًا من لحمٍ ودمٍ أمامه، وكأنه يحدّث العقل ليس إلاّ، على سبيل المجاز اللغوي المرسل علاقته السببية.

هنا آخر مطاف بالنسبة لصورة المجاز في شعر ألبي، وسيضم الباحث معه لقاء جديد في صورة الاستعارة في شعره في المبحث التالي إن شاء الله الكريم.

---

[٤٥٤] كشك، الإمام عبد الحميد. *شريطة مسجلة لخطبه المنبرية*.

[٤٥٥] ألبي، عيسى أبو بكر. *السباعيات*. المرجع السابق. ص٥٠.